القيم الجمالية في شعر أبي دهبل الجمحي

علي محسن حسين المعموري
جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية

أ. د. هناء جواد عبد السادة
جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية

Stud.alimohsen@uobabylon.edu.iq

الملخص:

الجمال هو مصدر الفعل جمل، أي البهاء والحُسن وقد ورد في الحديث الشريف قول الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ((إنّ الله يحبّ الجمال)) أما القيمة فهي ثمن الشيء بالتقويم، ومن خلال ذلك انطلقنا لدراسة مفاهيم الجمال، فقد رسم الشاعر أبي دهبل لوحات الجمال البشري للمرأة والرجل، لذلك استطاع من خلال شعره الكشف عن أهمية علم الجمال في الجانب الأدبي.

فبذلك يكون الجمال إحساساً داخلياً يتولد فينا عند رؤية أثر تتلاقى فيه عناصر متعددة ومتنوعة ومختلفة باختلاف الأذواق، فقد عرف المجتمع العربي منذ جاهليته أهم القيم الجمالية المتعلقة بجمال المرأة فرصدوا الرقة والدفء وسواد الشعر وبياضها وجمال الرجل بشمائله المتمثلة بالشجاعة والكرم مما جعل لهم تراثاً فنياً جمالياً رائعاً.

الكلمات مفتاحية: الجمال، جمال المراة، جمال الرجل، الشجاعة، الكرم.

Abstract:

Beauty Homsdr verb sentences, no pomp and Hassan was contained in the words of the Hadith of the Prophet Muhammad (may Allah bless him and his family) ((God loves beauty)) The value is the price of the thing calendar. By doing so, we set out to study the concepts of beauty. It has been drawing the poet Abu Dhbl plates human beauty for women and men, so I was able through his hair disclosure about the importance of aesthetics in the literary side.

Beauty then so be internally generated in us a sense of when you see the impact of converging the many and varied and different elements of different tastes. Arab society has been known since Jahlith most important aesthetic values related to the beauty of women Frsdoa tenderness, warmth and blackness and whiteness of hair and beauty Eshmailh man of courage and generosity, making them aesthetically pleasing artistic heritage fantastic.

keyword: the beauty of woman, beauty, generosity, courage, the beauty of man.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، أبي القاسم محمد وعلى آله المنتجبين وبعد:

إنّ فكرة الجمال شغلت مساحات واسعة في مختلف الدراسات الأدبية، فهي تتجلى في الكشف عن أهم المواطن التي تبين قيمة الجمال وماهيته، لذلك فالجمال هو كلّ شيء جميل مرغوب فيه. فهو صفة إنسانية عامة ومطلقة يسعى وراءها الأديب المبدع لإظهار جماليات قدراته الأدبية، فعند تناولنا لجمال المرأة نكشف عن الجمال الجسدي المتمثل بجمال العينين والبياض الناصع والحلي والأساور وكل ما تحمله من مظاهر الزينة، وبهذا يمكن حده بقولنا: تحقيق المرغوب الممكن من خلال المعنى الأدبي، أي الكشف عن الشفرات الكلامية الجزئية التي تتيح لنا جماليات الصورة الكلية.

وبهذا تكون القيم الجمالية مجموعة من القيم التي تشير إلى المقننات الثقافية المشتركة يتم فيها تقسيم الرغبات والحاجات، فجمال الرجل يتمثل بالصفات المعنوية المرغوبة عند العرب عامة من الشجاعة والكرم والصبر وغيرها فهي بذلك تكشف عن الثقافة السائدة في المجتمعات ومن خلالها يتم التوصل إلى القيم المحيطة بهم أو المنهج المسار عليه.

وختاماً اقدم الشكر والثناء لأستاذتي الفاضلة أ. د. هناء جواد عبد السادة راجياً من الله تعالى أن يمن عليها بالصحة والتألق الدائم

الجمال البشري:

يمكن تحديد معالم الجمال البشري ببعض الصفات التي تدل عليه فتقترن تلك الصفات بجانبين أو جنسين ألا وهما جمال المرأة وجمال الرجل.

أولاً: جمال المرأة:

لقد أدرك العرب هذا النوع من الجمال منذ القدم فذهب الشعراء يصورون تلك الصور الجميلة في محاسن المرأة وزينتها فنراهم يصفون كلّ مفاتنها من حيث البنية الجسدية بوصفها محط أنظار الشعراء خاصة والناس عامة حتى أصبح مندهشاً أمام هذا الجمال مفكراً في وصفه، فوصفها الشعراء الجاهليون ومن تبعهم بعدة أوصاف منها جمال بياضها الناصع كأنّه ضوء القمر وبيضة الخدر، ووسع العين فشبهوها بعين النعامة والظباء وشعرها بألياف النخيل لشدة لونه وكثرته، ومنه قول أبي دهبل يصف حبيبته عمرة قائلاً: [١] (من الطويل)

وَأَبْصَرْتُ مَا مَرَّتْ بِهِ يَوْمَ يَأْجَجٍ ظِبَاءٌ وَمَا كَانَتْ بِهِ العِيرُ يَحْدَجُ[٢]
فَأَنْكِ عَيْنٌ قَـدْ أُهِبْتِ بِصَاحِبٍ حَبِيْبٍ لَهُ فِي الصَّدْرِ حُبٌّ مُؤَلَّجُ

فيصور الشاعر في تلك اللوحة الجميلة جمالها الجسدي كما يبين كيف شغف قلبه بحبها وهو ينظر لها من تلك الأماكن المرتفعة فتقدح ابصاره لها لحسن جمالها وبهائها مبيناً أثر الشوق النفسي المتعب من ألم الفراق بها، فصور العربي تلك المواطن الجميلة في أرق مخلوقته التي خلقها الله ((بيضاء استرخى شعرها الأسود، واشرأب جيدها الأتلع.. ودق خصرها، ثم جلت عجيزتها جلالا واستدارت ساقها فما استطاع إلاّ الصمت))[٣]. ثم يصور لنا الشاعر في موطن آخر صورة جمالية دقيقة غاية الدقة فيصف كف الحبيبة المزيّن بالحناء وإذا نظرنا لتلك اللفظة (الحناء) في سيميائيتها فهي تدل على الزينة والجمال كما تدل على السعادة والفرح فقال: [٤] (من الطويل)

وَكَفٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ لَطِيْفَةٌ بِهَا دَوْسُ حِنَّاءٍ حَدِيْثٌ مُضَرَّجُ[٥]

وينتقل أيضاً ليصور لنا جمال الحلي واللؤلؤ في اقدامها ولو نظرنا إلى تلك الصفات وجدناها تقترن بالمرأة الجميلة المفتونة بالحلي فهذا يدل على اهتمام المرأة بالزينة والتبرج لشد الأبصار إليها أولاً ولغرض التمتع بتلك الزينة ثانياً فقال في ذلك:[٦] (من الطويل)

كَأَنَّ وَسَاوِيْسَ الحُلِيِّ إِذَا مَشَتْ وَشَارَفَهُنَّ اللُّؤْلُؤُ المُتَشَرِّجُ

ثم يصور حركتها عند المشي وهي ترتدي هذه الزينة في أقدامها فيكون صوت الحلي اشبه بالأشجار أو الشجيرات الناعمة التي تصيبها الريح فتتحرك باتجاه تلك الرياح تاركة فيها اصوات مدندنة واصفاً تلك الرياح بعذوبتها ذات النسمات الباردة فقال: [٧] (من الطويل)

تَخَشْخُشُ بَالِي عِشْرِقٍ زَجَلَتْ بِهِ يَمَانِيَةٌ هَبَّتْ مِنَ اللَّيْلِ سَجْسَجُ

لقد تزينت المرأة بهذه الحلي لتزيد جمالها ووضعت في كلّ موضع من جسمها صنفاً يبرز محاسنها فالعقد في الصدر والقرط في الاذن والأساور في المعصم والخواتم في الأصابع والخلخال في الساقين، وكان لدور الشاعر أثر فعال في رسم لوحة جمالية لإظهار مقاييس الجمال من خلال ذكر اوصاف الحلي فهذه الحلي تزيد من جمالها وتكمل محاسنها فما أروع جمالها عندما يزداد ببريق الحلي ولمعانه.

فقد قرن الشاعر بين جمال المرأة والأشجار الناعمة وعذوبة الحبيبة ورقتها مع الرياح المسجسجة وهي الرياح المعتدلة البرودة كما يقال أنها ريح الجنة لا حر فيها ولا برد، فلتلك الكلمات دلالات سيميائية ذات دلالة واضحة على جمال المرأة المفتونة بالحلي ففي مرورها على الأحبة تكون اشبه بهبوب الرياح العذبة المحركة للمشاعر في نفس المحبوب، كما يصف الحبيبة بأنّها ذات جمال وحسن وبهاء كأنّها لؤلؤ وجوهر لامع يبهر الناظر إليه فقال: [٨]

(من الخفيف)

وَهْيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الغَوَّ اصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ[٩]

إنّ اقتران اللؤلؤة بالمرأة يحيلنا إلى ربط ذلك بدلالتين:

١- دلالة البياض الجامع لهما فللمشبه والمشبه به صفات بارزة في الوضوح وجذب الانتباه وسحر القلوب.

٢- أما الدلالة الثانية مرتبطة بمعنى النفاسة والأصالة والجدة، فلتلك الصفتين (اللؤلؤة والمرأة الجميلة) لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال المشقة والتعب لذلك جعلت هذه من الأشياء النفيسة. فنرى الشاعر بهذا الوصف يمزج بين عصرين عصر سابق له عندما كان الشاعر يصف حبيبته ويشبهها بالجوهر المكنون، ثم يصف قوله (لؤلؤه الغواص) فهو بذلك متماشياً مع تطورات عصره فنراه يجمع بين التراث والحداثة في وصفه، ومن ذلك جمال المرأة ما جاء في عيون الأخبار فقال ابن الاعرابي: ((الحلاوة في العينين، والجمال في الأنف، والملاحة في الفم))[١٠]. وقال ابن شبرمه: ((ما رأيت لباساً على رجل أزين من فصاحةٍ، ولا رأيت لباساً على امرأةٍ أزين من شحمٍ))[١١]

فذهب الشاعر يرسم هذه الصورة بأجمل غاية الدقة واصفاً خصرها الممتلئ والحلي المنتشر على جسمها، ولو نظرنا إلى طرفي المعادلة إنْ صح القول لنرى ما الارتباط بين الحلي والجسم الممتلئ يمكن القول إنّ الجسم الممتلئ فيه دلالة على الترف والراحة والسعادة والحلي والزينة تكمن في تلك السعادة وهذا ما كان يتمتعنّ به نساء الملوك والأشراف فقال:[١٢]

(من الطويل)

يَجُوْلُ وِشَاحَاهَا وَيَغْتَصُ حَجْلُهَا وَيَشْبِعُ مِنْهَا وَقْفُ عَاجٍ وَدُمْلُجُ[١٣]

ويبين لنا موقف المرأة في الجانب الديني من حيث الحسنِ والجمال ويمكن توضيح ذلك بقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) :((لا تحسنُ المرأة حتى تروي الرضيع، وتُدفئ الضجيع))[١٤]

لقد انمزج جمال اللوحة وصفائه وجمال العين والخدود مع جمال الزينة المنعكسة بأضوائها على ذلك الجمال لذلك عند النظر لتلك اللوحة الأدبية ينبهر المتلقي أمام أفاق واسعة في تحديد ماهية الجمال هل هي (للوجه وزينته)؟ أم (للحلي وزينتها)؟ لذلك يمكن القول أنّ كلا الجمالين لا يمكن فصلهما عن الآخر فهما مصدران متمازجان لرسم صورة جمالية واحدة، إنّ تلك الإشارات لبدن المرأة إلى ضخامتها ونعومتها ورشاقتها وكلّ مفاتنها لكن هذه الإشارات لا تدل على نظرة حسية بل هي تعكس رؤية جمالية محضة إلى بدن المرأة. إنّ الشاعر يشكل جمالاً مثالياً لمقاييس تنبثق من وعيه للجمال المطلق[١٥]

لذلك نرى الشاعر انطلقت أحكامه الجمالية الراسمة لتلك اللوحة فنراه يجعل من كل جزء لوحة فنية متراصفة الجوانب جذابة للنفس داعية للاهتمام فهذا الحكم يمكن مرده إلى طبيعة التصور العصري المتمثل بالتطور الحضاري والاجتماعي والثقافي لذلك نراه ينقل الجمال الحي (البشري) إلى لوحة أدبية فنية ناطقة واصفة لذلك الجمال حتى ظهرت هذه اللوحات بأجمل الصور وادق الوصف وأسمى العبارات.

وقال بعض الحكماء: ما آنس الإنسانَ، ولا عمرَّ المكانَ، ولا سلى الأحزانَ، ولا اعانَ على الزمان، مثل البيض العوان[١٦]، فقد كانت لهوات الشعراء تتجاوب بالغزل في كلّ صقع من أصقاع الجزيرة، ينفسون به عن حبّ مبرح،

وحرمان ممضٍ وشوق لهيف، أو يفتنون في وصف مفاتن النساء الجسدية والنفسية، فقد خلفوا بعض الشعراء من شعر الغزل ثروة عظيمة تنبئ عن تقدير العرب للمرأة، وخضوعهم لسلطان الجمال والحبّ[١٧]، ومن تلك الوصف ما جاء في شعر أبي دهبل وهو يصف بعد حاله بعد فراق وغرب لحق به وهو في أمواج هذا الحب الهائج فقال: [١٨]

(من الخفيف)

فَلِتِلْكَ اغْتَرَبْتُ فِي الشَّامِ حَتَّى ظَنَّ أَهْلِي مُرَجَّمَاتِ الظُّنُونِ

وقال أيضاً: [١٩] (من الخفيف)

وَإِذَا مَا نَسَبْتُهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ المَكَارِمِ دُوْنِ[٢٠]

و"ما من شك في أنّ المرأة كالرجل تحبّ، وتتشوق، وتتذكر وتتمنى، وإذا كانت شاعرة فإنّ المتوقع أن تتغنى حبها في شعر تزجيه العاطفة، كما يتغنى الرجل"[٢١]

لذلك أحدث تحول اجتماعي أو طفرة اجتماعية ناتجة عن علاقة الرجل بالمرأة في المجتمع الأموي فذهب الشعراء بتمعن نظراتهم إلى المرأة وتصويرها تصويراً دقيقاً فكانت معاني صورهم ناتجة بين القيم الموروثة من العصور السابقة لهم.

فقد اعتمدت الصورة الجسدية للمرأة اعتماداً كثيراً الموروث الجاهلي، فقد وصف المرأة وكأنّها جزء من أجزاء الطبيعة الموحية للجمال واختمرت هذه الفكرة في شعراء العصر الأموي لذلك قام الشعراء بتقليد ساداتهم في العصر الجاهلي لذلك كانت النماذج الجمالية متشابهة بين شعراء العصر الجاهلي والأموي فثبت الجمال بحسن الوجوه، وكثافة الشعر، وحسن الخلق، وكثافة نسيج الأهداب، وعذوبة المذاق، وبهاء الحسن والعطر، ورقة الأوساط، وتردد الأجفان بين الدلال والتفتير، والغنج والتكسير، كأنّها حور الظباء بابليات النظر أو ربائب[٢٢] الوحش من سراب البقر، وسواد النقط الخيلان[٢٣].

فقد وصف الشاعر جمال المرأة من حيث حسنها وجمال عطورها فبحث الشعراء على وصف كلّ ما يتعلق في المرأة فلم يتركوا شاردة وواردة إلاّ تعرضوا لها بوصفهم، فنراه يتحدث عن عطرها مختلطاً بالبخور الموضوع في الدار، فعند ذكر المسك يربط هذا الموضع مع امرئ القيس عندما يصف حال أم الحويرث وأم الرباب وقيامهما حتى تبين رائحة المسك منهما[٢٤] فقال: [٢٥] (من الخفيف)

تَجْعَلُ المِسْكَ وَالْيَلَنْجُوْجَ وَالنَّدَ صِلَاءً لَهَا عَلَى الكَانُونِ[٢٦]

لذلك نرى "أن تصور الرجل لجمال المرأة مقصوراً – في الأغلب– على المظهر المادي وحده، وأنْ يتخذ هذا المظهر صورة نمطية لا تتلون باختلاف الشخصيات والأحوال، فما دام الرجل لا يصاحب المرأة مصاحبة ممتدة وفي أحوال ولحظات مختلفة، فإنّ تصوره لجمالها لابد أنْ يظل تصوراً مادياً مطلقاً"[٢٧]

فيمكن مرد ذلك (الوصف المادي) للمرأة إلى سبب اجتماعي مبنياً على انعكاس الأوضاع الاجتماعية القائمة في تلك الفترة، فمن ذلك وصف أبي دهبل لحبيبته بأنّها ذات حسب ونسب، فقد ذكر اثناء طيات القصيدة كيف اشترط اهلها عليه المهر الغالي: [٢٨] (من الطويل)

وَأَشْفَقَ قَلْبِي مِنْ فِرَاقِ خَلِيْلَةٍ لَهَا نَسَبٌ مِنْ فَرْعِ فِهْرٍ مُتَوَّجُ[٢٩]

((إنّ هذا التنقل بين النساء والسعي الدائب إلى المغامرة لم يكن إلا تعبيراً من نوع آخر عن هذا القلق الذي كان يعتمل في نفس العربي حين ذاك في تلك المرحلة الحضارية الخطيرة التي كان يقف فيها العربي مشدوداً بين انماط الحضارة والسلوك))[٣٠]، ثم يصور لنا الشاعر صورة جمالية متصلة بأجزاء المرأة ألا وهي جمال اليد البيضاء الممتلئة ذات الأصابع الجميلة فقال: [٣١] (من البسيط)

خَوْدٌ مُبتَّلَةٌ رَيّاً مَعاصِمُهَا   قَدْرَ النَبَاتِ فَلا طُوْلٌ وَلا قِصَرُ

وإذا أمعنا النظر في شعر أبي دهبل خاصة وشعراء الغزل عامة وجدنا أن الرياح كانت عامل مهم في اثارة جمال المرأة ووصف وشاحها المتحرك لتظهر الأقدام، أو عند هبوب تلك الرياح تلتسق الملابس على جسدها فتظهر أجزاء جسمها فتكون ذات محط لأنظار الشعراء بوصفه ذات قيمة جمالية مادية فصورها أبو دهبل في شعره قائلاً: [٣٢] (من البسيط)

إنْ هَبَتِ الرِّيْحُ حَنَّتْ فِي وَشَائِجِهَا   كَمَا يُجَاذِبُ عُوْدَ القِيْنَةِ الوَتَرُ

وبرزت صورة أخرى لجمال المرأة في شعره فنراه يصف جمال أردافها واهمية محاسنها ذاكراً جميع اجزائها كما يتأمل في وصف سياق حبيبته فنراهم يفتتون المواصفات الجمالية للمرأة فوصفوا أدق الوصف في اجزاء قدميها من أنامل القدم وحتى أعلى ساقها وهي تلك الصفات البيضاء اشبه بالبدر. ففي هذا التشبيه يجعل من الطبيعة صفات جمالية للمرأة فقال: [٣٣]   (من البسيط)

إذَا مَحَاسِنُهَــــا اغْتَالَتْ فَوَاصِلُهَا   مِنْهَـا رَوَادِفُ نَعِمَاتٌ وَمُؤتَزِرُ

بَيْضَاءُ تَعْشُو لَهَا الأَبْصَارُ إنْ بَرَزَتْ   فِيَ الحَجِ لَيْلَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ القَمَرُ

لذلك نرى إنّ بدن المرأة يمثل جانب أساسي من الشعر الغزلي ليكون رؤية جمالية داعية إلى التأسيس والابتكار لتحرك الجزيئات التشكيلية للنص الشعري وهذا بدوره يمثل انموذجاً مثالياً للوعي الشعري العربي المتمثل لجسد المرأة[٣٤].

لذلك رسم الشاعر لوحة جمالية لمحاسن المرأة من النعومة والأرداف والبياض فلكل صفة من هذه الصفات تعطي قيمة جمالية تختلف عن الأخرى. فدلالة النعومة تدل على رفاهية العيش، وجمال الملمس والأرداف لها قيمة جمالية تدل على جمال الزينة على الأرداف لملاسقتها، وجمال البياض يدل على جمالية البياض الناصع المبين من المسافات البعيدة وكان وجهها متبارقاً في البياض وكأنه بياض القمر الناصع، لذلك قيل: ((النظرُ إلى المرأة الحسناءِ يزيدُ في البصر))[٣٥] فقال العُتبيُ: ((سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال: بيضاء جعدةٌ، لا يمسُ الشوبُ منها إلاّ مشاشةَ كتفيها، وحلمةَ ثدييها، ورضفى ركبتيها، وجانبي أليتيها))[٣٦] ومنه ما روي عن الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) قال ابن عمر: قال (ص) : ((ثلاثةٌ تجلو البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن))[٣٧] فقد قال أبو دهبل في ذلك وهو يصف حسن الوجه والنظر إليه:[٣٨]   (من البسيط)

وَمَا نَظَرْتُ وَمَا أَلْفَيْتُ مِنْ أَحَدٍ   يَعْتَادُهُ الشَّوْقُ إِلاَّ بَدْوَهُ النَّظَرُ

ففي هذا القول تصريح واضح كلّ الوضوح يدل على جمال المرأة وكيفية جذب الانتباه من خلال جمالها، ولم يكن جمال المرأة داعياً لجذب الانتباه فحسب بل كان في الوقت نفسه داعياً إلى الشوق والتعلق بها.

<u>ثانياً: جمال الرجل:</u>

عند ذكر مفهوم الجمال يتبادر إلى السامع اقتصار هذا المفهوم على النساء، فلهنّ الحلي والزينة وجمال الوجه وكذلك سواد العينين و الشعر وقوام الساقين وغير ذلك من المواضع الجمالية التي وصفها الشعراء لتلك النساء، أما في هذا الموضع فينتقل المفهوم من جمال المرأة إلى جمال الرجل فتتحد تلك المفاهيم الجمالية للرجل بعدة عوامل منها الجمال الخلقي والأخلاقي والروحي، فمن الجمال الخلقي جمال الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ومنه قول الله تعالى في نبينا محمد(صلى الله عليه واله وسلم) : ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ))[٣٩] فقد تحدث عنه أبو دهبل مصوراً تلك الجمال بالعفة وهو المعروف بالصادق الأمين التي لم تلد النساء بمثله فهو نور ساطع، ذو الجمال الناصع، حلو الأخلاق، جميل الطلعة،

موصوف بالعفة، فهي دالة على جمال خلقي معترف عند العربي فقال:[٤٠]

(من الكامل)

عَقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ   إِنّ النِّسَـاءَ بِمِثْلِـهِ عُقْـمُ[٤١]

إنّ الانسان الجمالي هو الانسان المثالي المكتمل الصفات لذلك فالشخصية المثالية هي الشخصية التي صورها الشاعر بصورة جمالية أكبر من أي ذات أخرى تحمل في صفاتها الكمال والسمو والعفة وهذا مايدل عليه قوله(عقم النساء فما يلدن شبيهه) فلفظة العقم تدل على المنع أي منع الانجاب لكن هنا يتحدد الانجاب بذات واحدة ألا وهي شخصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن خلال هذه المقارنة بين الذات والآخر أي عدم الانجاب يتبين لنا ما يأتي:

١-القدرة الإلهية العظيمة المتمثلة في خلق الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقدرته على تحمل الرسالة ودعوة الناس للدين القيم وهذا يدل

على أعظم الصفات الجمالية، لذلك يمكن بيانها بقوله تعال: ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)).

٢-جمالية الصورة الفنية القطعية التي رسمها الشاعر فدلالة النفي هنا خرجت إلى معنى جمالي متمثل بعدم وجود شبيه له وهذا يدل على أنه شخصية مثالية خلدها التاريخ.

٣-أما الدلالة الثالثة فقد خرجت إلى معنى جمالي جسدي متمثل بالشجاعة ،والعفة، والكرم، والارادة، والجمال... لذلك نرى أنّ الوعي الشعري الذي رسمه الشاعر جعل من الذات الممدوحة ذات انتاجية للقيمة الجمالية جاعلاً منها حوار للصور المقارنة بالذات الأخرى، فإنّ التمعن بذلك القول يدرك أهمية القيم الجمالية والروحية من خلال التأمل والتفكير في ذلك المعنى.

فيمكن التوصل إلى أنّ الصورة التي رسمها الشاعر ذات مفاهيم اسلامية تختلف عن الصور التي رسمها الشعراء في ممدوحيهم الدالة على الشخصية المثالية للممدوح فأغلب الصور المرسومة لهم تدل على البطش، والقوة، والسطوة الخارقة، والطول، والضخامة وغيرها من الصفات ما يمدح بها الملوك والامراء والأبطال، لكن الصورة المتوفرة في ((عقم النساء فما يلدن شبيهه.....)) صورة داعية إلى الالتزام بالقيم والمبادئ الاسلامية ونهج الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). لذلك يمكن تحديد تلك الصفات الجمالية للرجل بمعايير محددة منها:

أ: الكرم:

من الصفات الجميلة التي تمتع بها العربي فكان الرجل الكريم يتمتع بسمو المنزلة بين القبائل العربية، فعرف هذا النوع من القيم الجمالية منذ القدم فوجد ذلك عند اعراب البادية في جاهليتهم. فيمكن القول: ((أن الكرم أثير عندهم أنه كان من بواعث الميسر عند أجوادهم وأثريائهم إذا اشتد البرد وكلب الزمان، ليطعموا ذوى الحاجة الجزور التي يتأسروا عليها))[٤٢]

فنرى الحياة العربية الصحراوية حياة صعبة متنقلة بين المناطق للبحث عن الكلأ والماء وعلى الرغم من ذلك نجد العربي يقوم بإكرام ضيفه حتى ينفق ما عنده دون أنْ يعطيه عطيةً تدل على البخل فقال أبو دهبل: [٤٣] (من مجزوء الكامل)

أَعْطَـى فَأَسْنَانَا وَلَـمْ   تَكُ مِنْ عَطِيَّتِهِ الصَّغَارَهْ

وَمِنَ الْعَطِيَّةِ مَـا تَرَى   جَذْمَاءَ لَيْسَ لَهَـا نَزَارَهْ[٤٤]

فَفَدَاكَ مِنْ حَدَثِ الرَّدَى   مَنْ لَمْ يَنَمْ لِلضَّيْفِ نَـارَهْ

فالشاعر في هذه الأبيات يمدح عمارة بن عمرو وهو عامل عبدالله بن الزبير فيقتصر مدحه على العطاء الموسر البعيد كلّ البعد عن الذل ففي هذا القول دليل مباشر على كرم الرجل، كما فيه دليل على العطاء كي لا يحس المقابل بالتصغير والتحقير من شأنه، أما في البيت الأخير يدل فيها على وجود النار ففيه دلالة على وجود مكان يوفد إليه الضيوف فمن ذلك ما جاء عند العرب، كان حاتم يأمر غلمانه بإيقاد النار إذا ما أطفأ البخيل ناره، وانّه يأمر من يوقدها أن يتوسع فيها لتكبر وتعلو فان جلبت ضيفاً كان خيراً، ففي النار دلالتان أما تهديهم إلى وفود الضيوف، أو يستفادون منها لانضاج الطعام أو للاستدفاء[٤٥]. فما عرف عن العرب انهم ينفقون ما لديهم في السرّاء والضرّاء في الوقت الذي تنقطع أرزاق السماء ونبات الأرض فيكون بذلك الكرم جدير الصفات وهذا ما جاء به الأدب العربي ومنه قول أبي دهبل: [٤٦](من الطويل)

فَنِعْمَ ابْنُ عَمِّ القَوْمِ فِي ذَاتِ مَالَهُ إِذَا كَانَ بَعْضُ القَوْمِ فِي مَالِهِ كَلِبَا

وما قيل عن الكرم واوقاته ((وهم كرماء في كلّ وقت، ولكنهم يشيدون بالكرم إذا اجدبت الأرض وكفت السماء، لأنّه كرم في وقت تحرص النفوس فيه على البقاء والاحتفاظ بالمال، فهو كرم جدير بالثناء))[٤٧]، فمن كرماء العرب ما عرف في الجاهلية فكان صادق في قوله وفعله فكان كلامه في شعره يطابق افعاله، فقد عرف بذلك حتى غلبت هذه الصفة على اسمه فمجرد ذكر الكرم تقترن تلك الصفة به.

قال ابن الأعرابي: ((كان حاتم من شعراء الجاهلية، وكان جواداً يشبه جوده شعره. ويصدق قوله فعله، وكان حيثما نزل عرف منزله، وكان مظفراً إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا ضرب بالقِداح فاز، وإذا سابق سبق.....))[٤٨]، فيمكن بيان تلك الصفات في جزء من شعره من اطعام والحفاظ على الضيف في ليلة شديدة البرد قليلة الوفرة شديدة الظلمة فقال:[٤٩] (من الطويل)

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرَّتْ كِلَابُهُمْ ضَرَبْتُ بِسَيْفِي سَاقَ أَفْعَى فَخَرَّتِ
فَقُلْتُ لأَصْبَاهِ صِغَارٍ وَنِسْوَةٍ بِشَهْبَاءَ مِنْ لَيْلِ اليَمَانِيْنَ قَرَّتِ[٥٠]
عَلَيْكُمْ مِنَ الشَّطْنِ كُلَّ وَرِيَّةٍ إِذَا النَّارُ مَسَّتْ جَانِبَيْهَا ارْمَعَلَّتِ[٥١]
ولا يتْرُكُ المرءُ الكَرِيمُ عِيَالَهُ وَأَضْيَافَه مَا سَاقَ مَـالاً بضرَبَتِ[٥٢]

فقد كثر الوصف للرجل الكريم حتى وصفوه بالغيث لكثرة عطائه والبحر، والسماء المدرة عليهم بالخيرات والأرض السائرين عليها جامعة لكلّ العطاء، وعيون الماء الممدة لهم بالحياة، فما جاء من تشبيه الرجل الكريم بعين الغدير التي يخرج منها الماء لكي يرتون منها فقال أبو دهبل: [٥٣]

(من الطويل)

بُحَيْرُ بْنُ رَيْسَانَ الَّذِي سَكَنَ الجُنَدْ يَقُولُ لَـهُ النَّاسُ الجَوَادَ وَمَنْ وَلَدْ
لَهُ نَفَحَاتٌ حِينَ يُذْكَرُ فَضْلَـــهُ كَسَيْلِ رَبِيْعٍ فِي ضَحَاضِحَةِ السَّنَدْ

ثم يتحدث الشاعر عن فضل الكرم وكيفية اجابة السائل واعطاء ما يريد دون ذم أو تردد فكان عطاؤه متوافراً ،فنرى بذلك لم تكن مفخرة العربي بأن يقدم الطعام واستقبال الضيف لتزيد ذلك على مفخرته بل لابد أن ينفق ما عنده حتى يكون جوّاداً عظيماً يستحق الفخر، وهذا الفخر يدعوهم إلى الابتعاد عن الشح والبخل لكي يشرك الناس في كلّ ما يملكون فقال:[٥٤] (من البسيط)

مَاذَا رُزِئْنَا غَدَاةَ الخَلِّ مِنْ رِمَعٍ عِنْدِ التَّفَرُّقِ مِنْ خَيْمٍ وَمِنْ كَرَمِ
ظَلَّ لَنَا وَاقِفاً يُعْطِي فَأَكْثَرَ مَـا قُلْنَا وَقَالَ لَنَا فِي قَوْلِـــهِ نَعَمِ

ثُمَّ التَّحِي غَيْرَ مَذْمُوم وَأَعْيُنُنَا لَمَّا تَوَلَّى بِدَمْعٍ وَاكِفٍ سَجِمِ[٥٥]

(من الطويل)

وكذلك قوله: [٥٦]

وَكُنْتَ كَغَيْثِ الخَالِ أَرْسَلَ وَدْقَهُ لِمَنْ شَامَهُ يُزْجِي السَّحَابَ المُنَضَّدَا

وقد ظهرت القيمة الجمالية للنص من خلال دلالة الغيث نفسه فكلّ منهما يدل على العطاء فهو يصور تلك السحاب الممطرة فلو نظرنا إلى دلالة المعنى في البيت لوجدنا فيها دلالتين: الأولى دلالة الغيث والكرم، والثانية دلالة السحابة واليد فتعد الثانية الوسيلة للكرم والعطاء.

ب: الشجاعة:

من الصفات الجمالية الملازمة للرجل العربي ليفخر فيها بين الناس، فهي تلازمه طوال حياته من الشباب للمشيب وتمجده بعد مماته، فعند ذكر لفظة الشجاعة يتبادر للأذهان ارتباطها بالقتال والمناجزات وهذه تحتاج إلى أدوات قتالية، فتعتبر كلّ من الدروع والسيوف والرماح والنبال... وغيرها من المعدات القتالية المعروفة عند العرب، من الحلي الجمالية للرجل. ولو أمعنا النظر في التاريخ العربي وقارنا هذا التاريخ بتراثنا الأدبي لوجدنا أنّ الشجاعة ولدت مع الرجال وتمسكت بهم، كما أنّ البيئة العربية كانت عاملاً مهماً لوجودها، ففي البوادي والصحاري القاحلة تتطلب المعيشة وجود هذه الصفات وما يتعلق بها من ركوب الخيل ومعرفة مسايرتها. ومن فخر تلك الشجاعة قول أبي دهبل: [٥٧]

(من الرجز)

رُمْحِي رُدَيْنِيٌّ وَسَيْفِي المُسْتَلَبْ
وَبَيْضَتِي قَوْنَسُهَا مِنَ الذَّهَـــبْ

فنرى القيمة الجمالية واضحة على شجاعة الشاعر وافتخاره بها، فهو لم يفتخر بالشجاعة فحسب بل نراه يهتم أيضاً بجمالية السمة اللونية عند وصفها بالذهب، فنرى أن للذهب دلالتين: دلالة الثمن فهو من المعادن الغالية منذ القدم، ودلالة اللون، فلمعان المعدن واصفرار لونه يدل على بروز من يرتديه ومهمته القيادية، كما يقال أنّ الدرع الأصفر في دلالات العرب يلبس من قبل الرجل الشجاع ويستخدم عند الحروب الطاحنة، أما وصفه للرمح بقوله(الرديني) ففيها دلالتين أيضاً: الأول تدل على جيدها واصالتها وصحة تسديد رميتها وهذا الاسم وجد في الجاهلية ومن ذلك قول عنترة بن شداد: [٥٨]

عَوَالِيَ زُرْقاً مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةٍ هَرِيْرَ الكِـــلَابِ يَتَّقِيْنَ الأَفَاعِيَا

(من الطويل)

ومنه قول مالك بن الريب: [٥٩]

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى السَّيْفُ وَالرُّمْحُ الرُّدَيْنِي بَاكِيَا

أما الثاني فهي نسبة إلى رديني وهو اسم شخص يبيع الرماح. وقال أيضاً في وصف الدرع والقوس والنبال: [٦٠]

(من الرجز)

دِرْعِي دَلَاصٌ شَكُّهَا شَكٌّ عَجَبْ[٦١]
وَجَوْبُهَا القَاتِرَ مِـنْ سَيْرِ اليَلَبْ
وَالقَوْسُ فَجَّاءُ لَهَـــا نَبْلٌ ذَرِبْ
مَحْشُورَةٌ أَحْكِـــمَ مِنْهُنَّ القُطَبْ
لِيَوْمِ هَيْجَاءٍ أُعِدَّتْ لِلـــرَّهَبْ

فيعطي وصفاً جميلاً للدرع الذي يرتديه فهو من الدروع اللينة المتماسكة الأطراف